

من صور المقابلة في القرآن الكريم

*الدكتور ثناء الله

**د. عبدالمجيد البغدادي

Abstract:

The existence of antithesis in the Holy Quran is almost considered the vast phenomena, the routine reading of the texts of the Holy Quran makes us stand in from of this unique style, and also the existence of the man is standing on the comparison between the things. The method of antithesis mentioned in the Holy Quran is different from that of Arabic language itself. We find the antithesis in the Arabic language looks as smirk and faulty. There is ornamentation in its style. In Arabic text, we can mention the antithesis more than ten times in one text. On the other hand, we find the antithesis in the Holy Quran is mentioned more than twenty times in the same text without effecting on the beauty, rhetoric and the eloquence of this text. The antithesis in its compatibility with other Quranic styles specially the methodology of representation has added the artistic beauty specially in its expression and wonderful consistency and the existence of different and diverse images in it, the various human examples, and the other different items which are opposite in its nature and form. We would like to conclude by praising ALLAH, the lord of the whole universe.

الحمد لله الذي هدانا للإيمان، ومن علينا بدين الإسلام، كما جعل كتابنا أحسن الكتب المنزلة، فكان معجزة باقية على مد الزمان، وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار ومن تبعهم من الأخيار ما تعاقب الليل والنهار وبعد:

إن القرآن الكريم عماد لغة العرب الأسمى، تدين له اللغة في بقائها وسلامتها، وتستمد منه علومها على تنوعها وكثرتها، وهذه الدراسة من جملة الدراسات القرآنية التي تبحث في بلاغة التعبير وبراعة النظم، وأتمنى أن أوفق في ذلك -

مفهوم المقابلة وأقسامها:

إن الوجود الإنساني كله قائم على التقابل بين الأشياء، وهذا من البديهيات التي يدركها أي عاقل، فما من شيء إلا وله ما يقابله وينافيه في أوصافه، كالسواد والبياض والخير والشر، والظلم والعدل، وقد أقام الله الكون وما فيه على

*الاستاذ المساعد بقسم القرآن والتفسير، جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام آباد - باكستان

**الاستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام آباد - باكستان

التقابل والتضاد لحكمة يعلمها هو، قال تعالى: **وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** (١) يقول الإمام الغزالي رحمه الله: (٢) "أى أن الموجودات كلها متقابلة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كله" (٣)

إن المقابلة فن من فنون علم البديع، وقد تعرض لتوضيح مفهوم المقابلة النقاد والبلاغيون منذ القديم ووضعو لها اصطلاحات عديدة، ومفاهيم متنوعة، نبدأ أولاً بذكر المعنى اللغوي للمقابلة، ثم نتعرض للتطور التاريخي لهذا المصطلح عند النقاد والبلاغيين.

المقابلة عند أهل اللغة:

أصل المقابلة عند اللغويين من قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً إذا عارضه، ومقابلة الكتاب وقبالته به: معارضته، وإذا ضُمَّت شيئاً إلى شيء قلت: قابلته به، وتقابل القوم: استقبل بعضهم بعضاً، والمقابلة المواجهة، والتقابل مثله (٤) وهو نقيض التدابر (٥) وفي هذا المعاني جاء قوله تعالى في وصف أهل الجنة: **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** (٦) قال أهل التفسير: "إن التقابل في هذه الآية هو التواجه، بحيث لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه لأن الأسرة تدور بهم حيث داروا فهم في جميع أحوالهم متقابلون" (٧) والمتقابلان هما الشيطان والمختلفان الذين كل واحد منهما قبالة الآخر، ولا يجتمعان في شيء واحد في مكان واحد- (٨)

وفيه يقول صاحب الفوائد: المقابلة مصدر من قابل الشيء يقابله مقابلة إذا واجهه وصار ماثلاً أمامه، وهى من باب المفاعلة كالمضاربة ولا مقابلة، وأصله في الأجرام، يقال: قابل الشخص الشخص والجبل الجبل إذا واجهه ثم توسع فيه حتى استعمل في المعاني- (٩)

المقابلة في الاصطلاح:

هناك ارتباط وثيق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للمقابلة حيث أن المعاني اللغوية للمقابلة تدور حول المعارضة والمواجهة وقد جاءت معاني هذه الألفاظ- وإن لم تكن صريحة- في التعريفات الاصطلاحية للمقابلة، فغالب الاصطلاحات التي أطلقت على المقابلة تشترط وجود جزئين من الكلام متواجهين معاً على سبيل التضاد. وقد مرت المقابلة- باعتبارها مصطلحاً بلاغياً- بأطوار مختلفة حتى استقرت على المعنى المعروف والمتداول الآن، وفيما يلي بيان لأطوار هذا المصطلح.

يعد قدامة بن جعفر (١٠) من أوائل من تناول المقابلة بالبحث حيث ذكرها في نعوت جودة المعاني، قال: من أنواع المعاني وأجناسها أيضاً صحة المقابلات، وهى أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها

وبعض أو المخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشترط شروطاً ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافق بمثل الذي شرطه وعدده وفيما يخالف بأضداد ذلك.. (١١) فبقوله: "يريد التوفيق بين بعضها وبعض" أي أن الأديب يقوم بوضع معان، وتنميقها عن طريق إيجاد علاقة بين تلك المعاني وهذه العلاقة إما الموافقة أو المخالفة.

ومن عاصر قدامة وكان له رأى في المقابلة أبو جعفر النحاس (١٢) حيث قال: "ومن حسن البلاغة في المعاني صحة المقابلة، وذلك بأن يؤتى بمعان موافقة يراد بها التوفيق، وبمعان أخرى للمصادمة فيؤتى في الموافق بموافقه وفي المضاد بمعناه" (١٣) لكن تعريف قدامة كان أكثر شهرة، وظل أصلاً لكثير من الدارسين بعده، وجاء بعد ذلك أبو هلال العسكري (١٤) فعرف المقابلة بقوله: "المقابلة إيراد الكلام ثم مقابلة بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة" (١٥)

ونلاحظ أن تعريف العسكري أعطى للمقابلة مفهوماً واسعاً، فأدخل فيه الطباق والتناسب بالإضافة إلى التقابل الإسلامي وغيره، وبذلك يبقى تعريف قدامة أوضح وأدق.

ويعرق الباقلاني ٤٠٣ هـ المقابلة فيقول: "هي أن يوفق بين معان ونظائر والمضاد بضده" (١٦) أما ابن رشيق القيرواني (١٧) فقد عقد فصلاً واسعاً للمقابلة، ومثل لها بأمثلة متنوعة وقال في التعريف: "المقابلة أصلها ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق بما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه، وأكثر ما تجع المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة" (١٨)

ويتحدث ابن سنان الخفاجي ٤٦٦ هـ عن المقابلة في باب المعاني غير أن مفهومها عنده لا يختلف عن المفاهيم التي سبقته يقول: "المقابلة في المعاني هو أن يضع مؤلف الكلام معاني يريد التوفيق ما بين بعضها وبعض أو المخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة" (١٩) وأما الرازي ٦٠٦ هـ فيقول في تعريف المقابلة: "المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما، ثم إذا شرطتهما بشرط وجب أن تشرط ضديهما بضد ذلك الشرط" (٢٠) ومن البلاغيين الذين لم يفرقوا بين الطباق والمقابلة ضياء الدين ابن الأثير (٢١) حيث تناول المقابلة ببحث مستفيض، وقال في الطباق: "الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع مقابلة" (٢٢) وعرف الطباق بقوله: "هو الجمع بين الشيء وضده كالسواد والبياض والليل والنهار" (٢٣) والمقابلة عنده بمعنى الطباق نفسه.

ومن أحواد وأجمع المفهومات الواردة في المقابلة ما ذكره القرطاجني ٦٨٤ هـ (٢٤) في كتابه منهاج

البلاء، حيث قال: "إنما تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضاً، والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما مناسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب على صفة من الوضع تلائم بها عبارة أحد المعنيين عبارة الآخر، كما لا م كلاً المعنيين في ذلك صاحبه (٢٥) فهذه أغلب آراء النقاد والبلاغيين العرب في مفهوم المقابلة، وهي آراء متقاربة أحياناً ومتباعدة أحياناً أخرى. الملاحظة:

أنه على الرغم من هذه الاختلافات في تعريف المقابلة عند علماء هذا الفن فإن أحداً لم ينكر أن المقابلة نوع من المحسنات البديعية المعنوية استخدمها الحذاق من خلال الألفاظ والمعاني والأفكار لغويات بلاغية وقيم معنوية، فلا يخفى أثرها في الأمثلة التي وردت فيها وللوقوف على حقيقة المقابلة وحتى يستقر المعنى تماماً في ذهن القارئ سأعرض لأحد تعريفات المقابلة المتداولة وأشرحه شرحاً علمياً وافيّاً، وهو تعريف القزويني، وسبب اختياري لهذا التعريف كون القزويني أحد أعلام البلاغة المشهود لهم، وكذلك فإن كتابه الإيضاح في علوم البلاغة قد حظي بكثير من اهتمام العلماء شرحاً وتلخيصاً وتعليقاً، بالإضافة إلى كون هذا التعريف جامعاً لشروط المقابلة التي اصطلح عليها أغلب البلاغيين، حيث قال: "هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب" (٢٦) والمراد بالتوافق خلاف التقابل، فيشمل كلا من:

= المتناسبين، والتناسب هو التقارب والمقصود أن المعنيين المتوافقين بينهما مناسبة كالشمس والقمر، والجوع، والظما.

= والمتماثلين، والتماثل هو التساوي والمقصود أن المعنيين المتوافقين قد يكونان متماثلين في أصل الحقيقة مع عدم التماثل في المفهوم كالقائم والإنسان، وكالظلم والشرك.

= ويشمل الخلافين، والخلاف والتخالف عدم الاتفاق وكل من لم يتساو فقد تخالف واختلف، ومقصود أن المعنيين اللذين في أحد جزئي (كلام أو عجزه) قد يكونان خلافيين كالإنسان والطائر (٢٧) تعريف المطابقة لغة:

ورد في لسان العرب المطابقة هي الموافقة والتطابق، الاتفاق، وتطابق الشيطان تساوياً، وأطبقوا على الأمر أي اتفقوا عليه والمطابقة مشى المقيد، ووضع الفرس رجله موضع يديه (٢٨) يسمى طباقاً. تعريف المطابقة اصطلاحاً:

المطابقة: وتسمى الطباق والتضاد، وهي: "الجمع بين الشيء وضده" (٢٩)

العلاقة بين المقابلة والمطابقة:

انقسمت آراء العلماء في تحديد العلاقة بين المقابلة والطباق إلى ثلاثة آراء:

الرأى الأول:

قال فريق من العلماء (٣٠) إن العلاقة بينهما هي (علاقة عموم وخصوص من وجه) (٣١) إذ أن كل مقابلة طباق وليس كل طباق مقابلة، ولذلك فقد ذكر غالب البلاغيين المقابلة على أنها أحد أنواع الطباق.

الرأى الثانى:

وهناك من جعل المقابلة قسماً مستقلاً من أقسام المحسنات المعنوية كالسكاكى، ومن وافقه على هذا الرأى العلامة عبد الحكيم (٣٢) فالحق مع السكاكى فى جعله قسماً مستقلاً من المحسنات المعنوية - (٣٣)

الرأى الثالث:

وهناك رأى ثالث تبناه كل من ابن الأثير (٣٤) والحموى (٣٥) وهو: أن الطباق أحد أنواع المقابلة، ويقول ابن الأثير فى ذلك: "أن الطباق أحد أنواع المقابلة لأنه لا يخلو الحال فى ذلك من ثلاثة أقسام: إما أن يقابل الشيء بضده أو بغيره أو بمثله، والقسم الأول من ذلك هو الطباق فلذلك يمكننا اعتباره أحد أقسام المقابلة" (٣٦) الفرق بين المطابقة والمقابلة:

على الرغم من مدى التشابه الكبير بين المطابقة والمقابلة، الأمر الذى جعل الكثير من العلماء يخلطون بينهما أو يجعلونهما أمراً واحداً، إلا أن هناك فرقين أساسيين بينهما جعل كلاً من الطباق والمقابلة أسلوباً فنياً مختلفاً للتعبير عن المضمون، وهذان الفرقان هما:

الفرق الأول:

أن الطباق لا يكون إلا بين ضدين مثل قوله تعالى: فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٣٧)

وأما المقابلة فتكون غالباً بالجمع بين أربعة أجزاء جزئين متوافقين فى صدر الكلام. وجزئين متوافقين ضد الأولين فى عجزه، وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أجزاء أو يزيد خمسة متوافقة فى الصدر وخمسة متوافقة ومضادة للخمسة الأولى فى العجز. مثل قوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ - وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ - (٣٨) فى الآية الكريمة يظهر لنا أقل ما يمكن اعتباره مقابلة فى إصطلاح البلاغيين وهو مقابلة اثنين باثنين. ومن المقابلة الحسنة قول البحتري (٣٩)

فإذا حاربوا أذلوا عزيزاً وإذا سالموا أعزوا ذليلاً

الفرق الثاني:

أن الطباق لا يكون إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها، فإن المقابلة تشمل:

1- مقابلة الشيء بضده مثل قوله عليه الصلاة والسلام: "إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه" (٤٠)

2- ويشمل مقابلة الشيء بغيره، وهي قسمان:

- قسم تكون فيه مقابلة الشيء بغيره مع وجود مناسبة بينهما لكنها ليست التضاد إنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً- إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً- وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (٤١) ذلك أن الجزع لا يضاد المنع ولكن هناك مناسبة أن كلا الصنفين من طبائع الإنسان التي جبل عليها في حالتين متقابلتين وهما مساس الخير أو الشر وهما تفسير للهلول في الآية، فالهلع كما فسره الله تعالى في الآية الكريمة سرعة الجزع عند مس المكروه، وسرعة المنع عند مس الخير- (٤٢)

- قسم يكون فيه مقابلة الشيء بغيره ويكون بينهما يعد وعدم تناسب وذلك لا يحسن استعماله في التأليف وقلمنا نجده في كلام العرب وأشعارهم . وذلك أن غالب البلاغين يعتبرون ذلك مخللاً بالفصاحة مثال ذلك قول الشاعر:

أموت إذا ما صد عني بوجهه وأحياء إذا ما مل الصدود وأقبلا

فجعل حذاء الموت الحياة ومقابل الصد الإقبال لكان مصيباً (٤٣) في تحقيق قواعد المقابلة.

وكما يظهر لنا فإن الفرق بين المقابلة والمطابقة وإن كان دقيقاً لكنه صيغ كل قسم من القسمين بصيغة خاصة ظهرت به جعلت لكل منهما لوناً مميزاً عن الآخر قد لا يدركه إلا المتخصصون والباحثون في علم البلاغة. وليست المطابقة فحسب هي التي اختلطت مع المقابلة عند علماء الفنون البلاغية، بل أدخل بعضهم كذلك "مراعاة النظر" فيها، ولذا وجدت من باب التتميم للبحث أن أذكر الفرق بينهما:

مراعاة النظر:

نوع من المحسنات البديعية المعنوية ولقد عرفها القزويني بقوله: "هي أن تجمع في الكلام بين أمرين يناسبه لا بالتضاد، أو أن تجمع بين أمرين متناسبين، أو أمور متناسبة لا بالتضاد بل بالتوافق (٤٤) ويسمى الأتلاف

والتوفيق والتناسب ومنه قوله تعالى: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ - وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٤٥) فالجمع هنا بين أمور متناسبة كذكر القمر والنجم مع الشمس ومن المفسرين من يفسر بالنبت الذي لا ساق له فيكون ذلك أيضاً من باب التناسب مع الشجر ومثل ذلك موجود في القرآن كثيراً.

ويقوله في التعريف (لا بالتضاد) يخرج الطباق منه لأن المناسبة فيه بالتضاد إلا أن المقابلة قد تكون المناسبة فيها هي التضاد وقد تكون المناسبة فيها بغير تضاد وبذلك وجد أن بعض المقابلة من مراعاة النظر (٤٦) وهناك من البلاغيين من ينكر وقوع المقابلة بغير الأضداد واعتبروا ذلك خلطاً بين المعنى الاصطلاحي للمقابلة وبين المعنى اللغوي وهذا هو الرأي الأرجح.

أقسام المقابلة:

أقسام المقابلة باعتبار عدد الأضداد في صدر الكلام وعجزه (٤٧) وفي كل نوع من الأنواع في هذا التقسيم يزيد عدد المتقابلات الموجودة في الكلام اثنين:

١- مقابلة اثنين بأثنين:

ويقصد به أن عدد الألفاظ المتقابلة في الجملة أربعة، اثنان في صدر الكلام واثنان في عجزه كقوله تعالى: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (٤٨) في هذه الآية نرى مقابلة الحي في الجزء الأول بالميت في الجزء الثاني، وكذلك مقابلة الميت في الجزء الأول بالحي في الجزء الثاني.

٢- مقابلة ثلاثة بثلاثة:

كقوله تعالى: يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ الْخ (٤٩) أي فضرب بين المؤمنين وبين المنافقين سور، باطن ذلك السور وهو الجانب الذي يلي أهل الجنة فيه الرحمة، وهي نعم الجنة والجانب الذي يلي أهل النار من جهة جهنم وهو العذاب، وتظهر المقابلة الثلاثية من تقابل الباطن والظاهر و (فيه) مقابل (من قبله) التي بمعنى الخارج، و (الرحمة) مقابل (العذاب).

٣- مقابلة أربعة بأربعة:

مثل قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى - وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى - فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى - وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى - وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى - فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (٥٠). في الآية الكريمة نرى أن الطرف الأول من المقابلة اجتمع فيه متوافقات أربعة وهي: الإعطاء والتقى والتصديق بالحسنى والتيسير لليسرى - (٥١)

٤- مقابلة خمسة بخمسة:

مثل قوله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْحَنَّةِ هُمُ

فِيهَا خَالِدُونَ - (٥٢)

وتفصيل المقابلة في الآيتين كما يلي:

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا يقابل قوله وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ.

وقوله: أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْحَنَّةِ هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ يقوله أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ.

فهذه خمسة بخمسة عبرت فيها الآيات بإيجاز عن التقابل بين فريقى الإيمان والكفر وعن التقابل في

المصير الذى يؤول إليه كل فريق حسياً معنوياً.

أنواع المقابلة في القرآن الكريم:

المقابلة محسن بديعى عند البلاغيين، وهى قسم من المحسنات المعنوية للكلام، تناولها دارسوا البلاغة

والنقد فى كتبهم ومؤلفاتهم، إلا أن دراستهم اتسمت بالنظرة الجزئية والنطاق الضيق إذا ما قورنت بالإسلوب الذى

تناوله القرآن الكريم، فالناظر فى كتاب الله عز وجل يرى أن المقابلة ظاهرة بارزة. وهى من جملة الأساليب التى

وردت فى آياته وأسهمت فى عرض حقائقه وإبراز معانيه.

المقابلة فى اللفظ والمعنى:

ونعنى بهذا النوع أن التقابل يكون نتيجة لتضاد مباشر بين معنى كل لفظين فى الآية الكريمة، ولا يكون

التقابل بين لفظ ومجموعة ألفاظ دالة على المعنى المضاد فالتقابل اللفظى ناتج عن تضاد وتقابل لفظ واحد بلفظ

واحد آخر بشكل واضح سهل الإدراك دون الحاجة إلى عمق فكر وطول تأمل. ففى قوله تعالى: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ

كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا (٥٣) ولتوضيح هذا النوع من المقابلة سأعرض لذكر عدة

آيات يتمثل فيها:

المثال الأول: التقابل فى شؤون الدعوة:

يقول الله تعالى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوَارِثِ وَالْإِنْجِيلِ نَيَّامُ رُؤُوسِهِمْ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَهُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ (٥٤) الشاهد على أسلوب المقابلة فى

الآيات الكريمة قوله تعالى يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَهُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ. ففى هذا الجزء من الآية مقابلة اثنتين باثنتين

والتقابل اللفظي يظهر من التقابل بين الأمر والنهي وبين المعروف والمنكر . وقوله تعالى : وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْغَبِيَّاتِ والمقابلة في هذا الجزء مقابلة ثلاثة بثلاثة في كل من التحليل والتحريم، ولهم بـ : عليهم، الطيبات بـ : الغيبات.

وقد ورد تقابل كل من المعروف والمنكر في آيات كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى : وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥٥) المثال الثاني: التقابل في عواقب المشاعر البشرية من الحب والكراهة:

يقول الله تعالى : كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦)

في هذه الآية الكريمة مقابلة تعد من أقوى المقابلات وأعظمها قيمة معنوية تتمثل في قوله تعالى : وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وقوله تعالى : وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ.

وهي مقابلة لفظية ثنائية بين "تكرهوا" و"تحبوا" وبين "خير" و"شر" والآية الكريمة تمثل المنهج التربوي الذي يأخذ القرآن به النفس البشرية لتؤمن وتسلم وتستسلم في أمر الغيب المحبب، بعد أن تعمل ما تستطيع في محيط السعي المكشوف (٥٧) وفي قوله تعالى : وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ المقصود جميع ما نهوا عنه من الأمور المستلزمة (٥٨) التي ظاهرها الخير وباطنها السوء والهلاك . والتقابل بين الخير والشر في القرآن الكريم ورد في أكثر من موضع.

ومن أسرار هذه المقابلة، أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور والرضا بما يختاره له، فيرد الأمر كله لليد الحكيمة والعلم الشامل وهو راضٍ بتقديره، إنه الدخول في السلم من بابه الواسع، فما تستشعر النفس حقيقة السلام إلا حين تستيقن أن الخير فيما اختاره الله، وأن الخير في الإذعان الوائق والرجاء الهادئ، والسعي المطمئن، يقودهم بهذا المنهج إلى السلم وهو يكلفهم فريضة القتال فالسلم الحقيقي هو سلم الروح والضمير حتى في ساحة القتال (٥٩).

المقابلة الضمنية:

في هذا النوع من المقابلة تكون المعاني المتقابلة تحتاج من القارى إلى إعمال الفكر، وإرجاع النظر والتأمل لإدراكها.

المثال الأول: التقابل بين الإيمان والنفاق:

يقول الله تعالى: **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ** الخ (٦٠)

في هذه الآية الكريمة عرض لقضية الإيمان والنفاق بأسلوب المقابلة حيث رسمت الآيات صورتين متقابلتين: الصورة الأولى للإيمان في قوله تعالى: **أَقَمْنَا بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ** الذي يشبه البناء المتماثل في أساسه لقائم على التقوى وعلى العلاقة مع الله عز وجل، والصورة الثانية مناقضة تماماً للصورة الأولى تتمثل في قوله تعالى: **أَمْ مِنْ أَسَسٍ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا حُرفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**.

المثال الثاني: المقابلة بين الأوامر والنواهي:

يقول الله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ** يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٦١) تبرز لنا المقابلة من خلال الجمع بين متقابلان ثمان، الثلاث الأولى منها مأمور بها وهي العدل، والإحسان وإيتاء ذى القربى والثلاث الثانية منهى عنها، وهي الفحشاء والمنكر، والبغى. (٦٢) وبناء على ذلك فإن التقابل في الآية الكريمة قد أعطانا التصور الصحيح لمعنى العدل مثلاً من خلال مقابلته بالفحشاء ولمعنى الإحسان من خلال مقابلة بالمنكر، وفي دقائق تفسير الآية ما يحلّى هذا القول بوضوحه.

المقابلة في السلب والإيجاب:

التقابل في السلب والإيجاب: هو كون العناصر المتقابلة عبارة عن فعلى مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي، وفي هذا النوع من المقابلة لا يوجد تضاد بين اللفظين في أصل وضعهما في اللغة، إنما التقابل ناتج لكون أحد اللفظين مثبتاً والآخر مسبقاً بأداة نفي لإيجاد المعنى المقابل في الآية.

المثال الأول: التقابل في معان الخلق:

يقول الله تعالى: **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُشْكُرُونَ** (٦٣) في الآية الكريمة تقابل ثنائي الأول منهما بين: **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ** و **وَالَّذِي خَبِثَ** والتقابل الثاني بين **يَخْرِجُ** و **لَا يَخْرِجُ** باثبات لفظ يخرج في المقطع الأول ونفيه في المقطع الثاني، وكان هذا الأسلوب كافياً في تحقيق المقابلة المرجوة من الآية.

المثال الثاني: التقابل بين اليسر والعسر:

يقول الله تعالى: **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** (٦٤) في الآية الكريمة تقابل ثنائي بين (يريد ولا يريد) و (اليسر والعسر) وهو من باب تقابل السلب والإيجاب بإثبات (يريد) ونفيها في المقطع الأول من التقابل.

نرى أن في هذه الآية الكريمة بشرى عظيمة أفادها التقابل في السلب والإيجاب لكل مؤمن مستلم أثر انقياده وانصياعه لأوامر الله وفرائضه، فلقد صرحت الآية تصريحاً مباشراً بأن إرادة الله من عباده تتعلق بالتيسير، ونفت تماماً تعلق إرادته تعالى بالتعسير عليهم، وإذا كان الأمر كذلك فإن الإنسان يسير مع هذه الشريعة ومع هذا المنهج دون خوف أو شك.

المقابلة في الفواصل:

الفواصل عبارة عن حروف متشاكله متماثلة في المقاطع توجب حسن إلهام المعاني (٦٥) والفواصل إحدى مميزات بلاغة القرآن ذلك أن الفواصل فيه تابعة للمعاني، والفواصل في القرآن على وجهين:

1. أحدهما على الحروف المتجانسة كقوله تعالى: طه- مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى- إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى (٦٦) وَالطُّورِ- وَكِتَابٍ مُّسْتَوٍ- فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٦٧)
2. الفواصل على الحروف المتقاربة، كقوله تعالى: ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ- بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٦٨) فَالْحُرُوفِ الْمُتَقَابِرَةِ كالدال والباء، وكالميم والنون في قوله تعالى: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ- مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ- (٦٩)

المثال: المقابلة بين الأوقات التي أوعده الله تعالى بوقوع العذاب فيها:

يقول الله تعالى: أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ- أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ- (٧٠)

أنواع المقابلة في القرآن الكريم باعتبار الموضوعات:

المقابلة للاستدلال على صفات الله عز وجل:

إن للقرآن الكريم طريقة خاصة في هذا المجال وفي مجالات العقيدة جميعها، وهي تختلف اختلافاً كبيراً عن طرق البشر وخاصة الفلاسفة وأهل الكلام والمنطق ممن عنوا بالبحث في مثل هذه القضايا دهرًا طويلاً، فلم يصلوا بالناس إلى نتيجة حاسمة تبين هذه الحقائق، بل أنهم أوجدوا تعقيداً وتناقضاً بدخولهم في متاهات الغيب ومزالق الفكر، وفي هذا يقول فخر الدين الرازي في وصيته: "لقد اختبرت الطرق الكلامية فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التي وجدتتها في القرآن العظيم، لأنه يسعى في تسليم العظمة والحلال بالكلية الله تعالى (٧١) عرض الوجدانية بطريقة المقابلة:

المقابلة وإن كانت تؤدي دوراً ظاهراً في جميع الآيات التي وردت فيها إلا أن دورها أكثر ظهوراً في الآيات التي تتحدث عن صفات الله عز وجل التي من أهمها الوحدانية، "فالمقابلة بين شيئين أو أمرين أو شخصين تكون ليعرف أيهما المؤثر في عمل معين وإذا ثبت أن التأثير لواحد منهما كان له فضل في التقدم على غيره وقد كان ذلك النوع من يتابع الاستدلال كثيراً في القرآن" (٧٢). ووحدانية الله تعالى هي فرديته في ذاته وفي صفاته، فليس له زوج يقترب به، ولم يكن له كفواً أحد.

تساق هذه المقابلات لإيضاح الفرق بين الحق والباطل وضوح الفرق بين الأعمى والبصير وبين الظلمات والنور الذي هو الحق الذي لا يمكن بأى حال أن يرتقى إليه الباطل المتمثل في التعدد. ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير" (٧٣) المقابلة تشير إلى كمال القدرة:

من الآيات الدالة على كمال القدرة قوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ- (٧٤)

في هذه الآية تقابل ثلاثة بثلاثة قابل (الليل) بـ (النهار) وقابل (الضياء) بـ (الليل) و (تسمعون) بـ (تبصرون) والسرمد هو دوام الزمان من ليل أو نهار، وليل سرمد أى طويل، وقيل السرمد الدائم الذي لا ينقطع (٧٥) فهاتان الآيتان شاهدتان بوحدانية منشئ الليل والنهار وكمال مربوبيته، ويقول الله تعالى في عدة مواضع من كتابه: تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ (٧٦) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ- (٧٧)

مقابلات تشير إلى علم الله تعالى المطلق:

وصفة أخرى لله تعالى جاءت في قالب أسلوب المقابلة حيث يقول عز وجل: يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا (٧٨) فالعلم من صفات الكمال، فعندما يقف الإنسان أمام هذه الصفحة المعروضة في كلمات قليلة، فإذا هو أمام حشد هائل عجيب من الأشياء، والحركات، والصور، والمعاني لا يصمد لها الخيال، ولو أن أهل الأرض جميعاً وقفوا حياتهم كلها يتبعون ويحسون ما يحرق في لحظة واحدة، مما تشير إليه الآية لأعجزهم تتبعه وإحصاؤه عن يقين، يقول سيد قطب "كم من شيء في هذه اللحظة الواحدة يلج في الأرض، وكم من شيء في هذه اللحظة يخرج منها؟ وكم من شيء في هذه اللحظة ينزل من السماء- (٧٩)

(والتقابل كذلك في الآية التالية يبنينا بنفس هذه الصفة، حيث يقول تعالى: عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ هـ
سَوَاءٌ مِّنْ أَسْرِ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ مَّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ مَّ بِالنَّهَارِ (٨٠)

وإن آية واحدة من القرآن كهذه الآية لما يوحي بأن هذا القرآن ليس من قول البشر، فمثل هذا الخاطر الكونى لا يخطر بطبيعة على قلب بشر، ولا دافع إليه من طبيعة تصور البشر، ومثل هذه الإحاطة باللمسة الواحدة تتجلى فيها صنعة الله البارء لهذا الوجود التى لا تشبهها صنعة العبيد (٨١)

ثم عطف عليه بعض مظاهر إحاطة علمه، تأكيداً على أن الله تعالى عالم حتى بخطرات الضمائر، ومن تستقر في نفسه حقيقة هذه الصفة استجى من الله تعالى فكف عن المعاصى، ولم يغتر بحمل ستره وخشى بفتات قهره، ورضى بقضائه، ولم تستخفه النعمة فيبطر ويستكبر فهدف هذه المقابلة هي الوصول بالمسلم ليكون الشخصية الربانية المتوازنة التى تتعبد الله وتخشاه فى السر والعلانية ولا تكون كالذين قال الله فيهم: يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ط وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (٨٢)،

إن القرآن يقرر كلمته الأخيرة التى ستبقى إلى يوم الدين بعد أن عرض الكثير من الآيات التى تبين الصفات التى يستحق حاملها العبادة والوحدانية والتوجه إليه ليحعل جميع الناس أمام طريقتين واضحين: طريق الحق وطريق الضلال، ثم يترك الناس يختارون ما يشاؤون ولكن لكل اختيار جزاء ونتيجة كما قال عز وجل: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى: (٨٣)، فكما هو ملاحظ فى هذه الآيات التى سبقت فإن القرآن الكريم يعتمد على طريقة التقابل فى الاستدلال على صفات الله عز وجل من العلم والقدرة والإحاطة والشمول للوصول إلى فكرة الوحدانية خالصة لا تشوبها شائبة، ثم الفصل بين الرشد والغى وبين الحق والباطل ووضع التصور الصحيح الذى يجب أن يتبناه البشر عن إلههم: فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ ج فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا

الضَّلَالُ (٨٤)

المقابلة فى أحوال الإنسان وصفاته:

الإنسان قليل الصبر:

يقول الله تعالى: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنَّةٍ أَوْ قَاعٍ أَوْ قَائِمًا ح فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى

ضُرِّ مَسَّهُ ط كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ: (٨٥)

في الآية السابقة بيان للمقابلة بين حالين يتعرض لهما الإنسان، عند مساس الضربه، وعند انكشافه عنه وتقابل أيضاً في أثر هذين الحالين على سلوك الإنسان وتصرفه، حيث يبين التقابل أن "الإنسان قليل الصبر عند نزول البلاء، قليل الشكر عند وجدان النعمة والآلاء" (٨٦) وهذه الآية أيضاً تدلنا على أن الإنسان مجبول فطرياً على هذه الصفة ففي قوله تعالى: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ إِذْ "موضوعه للمستقبل، ثم قال: فلما كشفنا وهذا للماضي، فهذا النظم يدل على أن معنى الآية أنه هكذا كان فيما مضى، وهكذا يكون في المستقبل. ومن الآيات المشابهة لهذه الآية قوله تعالى: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنَّةٍ أَوْ قَاعٍ أَوْ قَاتِلًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ط كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٧) قوله تعالى: وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَاهٍ جَنَابِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٨٨) ففي هذه الآيات ورد التقابل المعنوي حيث يوجه انظارنا إلى ذات النفس الإنسانية الضعيفة. الإنسان كفور:

وفي مشهد من مشاهد الضعف البشري، ونموذج من لحظات الشدة والحر، مشهد الفلك في البحر الذي تكرر في مواضع عديدة في القرآن بأسلوب المقابلة وبغيرها لبيان مدى تغير الإنسان وتقلبه، يقول الله تعالى: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلُّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا جَ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ط وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٨٩)، تقابل بين الضرف في البحر والأمان في البر، والإخلاص في الإنابة والدعاء، والحدود والكفران (٩٠) نقطة من الخشب أو المعدن تائهة في الخضم تنقاذها الأمواج والتيارات، والناس متشبثون بهذه النقطة على كف الرحمن، عند هذا الحين وفي تلك اللحظات لا يتضرع الإنسان إلى صنم أو شمس أو قمر، إنما يتضرع إلى الواحد الأحد المنقذ المنجي "ضل من تدعون إلا إياه"، تتكشف الفطرة وتجلي أمام هذا المصاب الحل فما تملك إلا أن تسلم الأمر بالكلية إلى الذي لا ملجأ ولا منجى إلا هو (٩١) يئوس قنوط، وفرح فخور:

وفي صيغة أخرى من التقابل ترسم أمامنا صورة صادقة لهذا الإنسان العجول القاصر الذي يعيش لحظته الحاضرة ويطغى عليه ما يلبسه، فلا يتذكر ما مضى ولا يفكر فيما يلي، يقول الله عز وجل: وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ جَ إِنَّهُ لَكَفُورٌ - وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَّسَّةٍ لِّيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ط إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (٩٢)

موقف يشبه ما سبقه من مواقف لهذا الإنسان إلا أن التقابل في الآية قد كشف لنا عن صفات جديدة لم تذكرها الآيات وهكذا الإنسان يؤوس من الخير كغفور بالنعمة بمجرد أن تنزع منه، مع أنها هبة من الله عز وجل وهو فرح فخور بمجرد أن يجاوز الشدة إلى الرخاء (٩٣) ويذكر الله تعالى في آيات أخرى صورة مشابهة يقول الله عز وجل: وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَابِغًا بِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُفُوسًا (٩٤)

وقال: وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّحْنَا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبَهُمْ سَبِئَةٌ مَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٩٥)، كل هذه المقابلات تبين صفات الإنسان الغافل الذي من شأنه إذا فاز بمقصوده، ووصل إلى مطلوبه وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة والأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا، أن يغتر ويصير غافلاً من العبودية متمرداً عن طاعة الله عز وجل يقول الله تعالى: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَيَّطِلَى - أَن رَّاهُ اسْتَفْغَى (٩٦)، فإن الإنسان إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إلى هذه الأمور والإنهماك في ملاذها المباحة أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان. قال بعض الزهاد: "البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق" (٩٧)

فأوضحت المقابلة في أحوال هذه المجموعة من الناس أن من يظهر الدين عند السراء ويرجع عنه عند الضراء فلا يكون إلا منافقاً مذموماً كما وصفه الله عز وجل في كثير من الآيات: مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ^{صل} ق لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ط وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٩٨)

جزوع، منوع:

يقول الله تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا - إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا - وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٩٩)، ففي هذه المقابلة صورة للإنسان عند خواء قلبه من الإيمان كما يرسمها الكريم، صورة عجيبة في صلقتها ودقتها وتعبيرها الكامل عن الملاح الأصيل في هذا المخلوق، والتي لا يعصمه منها ولا يرفعه عنها إلا العنصر الإيمان الذي يصله بمصدر يحده عنده الطمأنينة، التي تمسك به من الجزع عند ملاقة الشر، ومن الشح عند امتلاك الخير (١٠٠) والصلح لفظ غامض من غوامض اللغة، وفسره أغلب اللغويين والمفسرين كما هو مفسر في الآية بشدة الجزع عند مس المكروه، وشدة المنع عند مس الخير (١٠١) وقيل أنه قلة إمساك النفس عند اعتراء ما يحزنها أو ما يسرها، أو عند توقع ذلك والإشفاق منه (١٠٢) والجزع هو أبلغ الحزن، وهو حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه وأصل الجزع قطع الحبل من نوصه، يقال: جزعته فانجزع فانجزع (١٠٣)

يقول سيد قطب في هذا التقابل: لكانما كل لمسة من ريشة مبدعة، تضع خطأ في ملامح هذا الإنسان، حتى إذا اكتملت الآيات الثلاث القصار المعدودة الكلمات نطقت الصورة ونبضت بالحياة، وانتفض من خلالها الإنسان بسماته وملامحه الثابتة

هلوعاً جزوعاً عند مس الشر، يتألم للدغته ويجزع لوقعه، ويحسب أنه دائم لا كاشف له ويظن اللحظة الحاضرة سرمداً مضروباً عليه، ويحسب نفسه بأوهامه من هذه اللحظة وما فيها من الشر الواقع به، فلا يتصور أن هناك فرجاً، ولا يتوقع من الله تغييراً، ومن ثم يأكله الجزع ويمزقه الهلع، ذلك لأنه لا يأوى إلى ركن شديد يشد من عزمه ويعلق به رجاءه وأمله (١٠٤)

سوء الظن:

ومن أسوأ الصفات التي قد يتصف بها الإنسان، سوء ظنه بخالقه ورازقه، سواء الظن بالله تعالى هذه الصفة التي تبين لنا من خلال التقابل في قوله تعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ۖ فَيَقُولُ رَبِّي

لا

أَكْرَمَنِي- وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ۖ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٠٥) ففي هذه المقابلة بيان للإبتلاء، بطرفين إما

عند سبط الرزق، وإما عندما يقدر عليه وذلك لأن كلا منهما اختبار للعبد، فإذا بسط الرزق له اختبرت خيرته وإيثاره، أو غروره وأثرته، وإذا قدر عليه بالفقر والحرمان ابتلى تعفقه وصبره، أو ذلته واقتوطه (١٠٦) يقول الله تعالى: وَتَبْلُوَكُمْ بِالْشَرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً (١٠٧)

والتقابل في كلتا الحملتين في الآية الكريمة متضمناً للإنكار فإنكار قوله إذا أكرمه الله تعالى أنه إنما قال ذلك زاعماً استحقيقه لذلك الإكرام بحسب ونسب أو مكانة، وإنكاره إذا ضيق عليه رزقه، بقوله ربى أهانني لدلالته على قصور نظره، وسوء ظنه وفكره حيث حسب أن تضيق الرزق إهانة له مع أنه قد يؤدي إلى كرامة الدارين، ومما يدل على أنه لم يكن إهانة أصلاً أنه تعالى لم يقل: ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ في مقابل ما قال أولاً: فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ (١٠٨)

الخاتمة:

إن وجود المقابلة في القرآن الكريم يكاد يشكل ظاهرة واسعة، إن مجرد قراءة عابرة عادية في نصوص القرآن تجعلنا نقف أمام هذا الأسلوب الفريد، ثم أن الوجود الإنساني كله قائم على التقابل بين الأشياء فما من شيء

إلا وله ما يقابله وينافيه في أوصافه إذا كانا تحت جنس واحد، والعقل البشري ينزع دائماً إلى المزاوجة والمقابلة بين الأشياء التي تدور في محيط تفكيره، وقد أقام الله هذا التقابل لمصلحة يراها هو تحقيقاً لضرورة سير الحياة. يختلف أسلوب المقابلة في القرآن الكريم عنه في اللغة العربية، فالمقابلة في اللغة العربية تبدو متكلفة ومعيبه ويظهر عليها أثر الصنعة اللفظية إذا زاد عدد المتقابلات في النص الواحد على عشر متقابلات، بينها نجد في القرآن أن عدد المعاني المتقابلة قد تتجاوز العشرين معنى دون أن يؤثر ذلك في روعة النص وجماله وبلاغته. ثم إن المقابلة في القرآن الكريم قد أدت دوراً عظيماً وبارعاً في وصف دروب النفس الإنسانية وتحديد خطوطها ورسم أبعادها من خلال التقابل بين الظروف المختلفة التي يمر بها الإنسان وآثارها على تصرفاته وسلوكه، ومدى تأثير الإيمان على سلوك الإنسان ودوره في تهذيب أخلاقه الفطرية التي جبل عليها كل إنسان في الرخاء والشدة.

ثم أن المقابلة بانسجامها مع بقية الأساليب القرآنية وبخاصة أسلوب التمثيل قد أضفت جمالاً فنياً خاصاً على التعبير وتناسقاً رائعاً، ومنشأ هذا الجمال وهذا التناسق هو وجود الصورة المتباعدة والألوان المتنوعة، والنماذج البشرية المختلفة، وغير ذلك من الأشياء المتضادة في طبائعها وأشكالها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

- ١- سورة الذاريات، الآية: ٤٩
- ٢- الغزالي: هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الاسلام الفقيه الشافعي، ولد سنة خمسة وأربع مائة هجرية، توفي في الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة وخمس مائة، أبي بكر بن أحمد الدمشقي، طبقات الشافعية، تصحيح وتعليق، الحافظ عبد الحليم خان، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٤٠٧/٥١٩٨٧م، ٣٠٠/١.
- ٣- أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، احياء علوم الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، جلد ٣، ص ٤٤.
- ٤- ابن منظور، لسان العرب، مادة: قبل: دار صادر، الطبعة الاولى، ٢٧٣/٤، وانظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧/٥١٩٨٧م.
- ٥- آلوسي، تفسير روح المعاني، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥/٥١٩٨٥م، ١٤/٥٩.
- ٦- سورة الحجر، الآية، ٤٧.
- ٧- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، دار الفكر، بيروت، ٣٨/١٤.
- ٨- انظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق، محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥/٥١٩٥٨م، ٣/٤٦٣.
- ٩- ابن القيم، الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان، دار نشر الكتب الاسلامية، باكستان، الطبعة الاولى، ١٣٩٤/٥١٩٧٤م، ص ١٤٧.
- ١٠- هو قدامة بن جعفر قدامة الكاتب، أحد البلغاء والفصحاء من كتبه كتاب نقد الشعر، وترياق النشر، وغيرهما، توفي سنة سبع وثلاثون وثلاث مائة هجرية، انظر: الفهرست لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب لسحاق المعروف بابن قيم، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٦/٥١٩٩٦م، ص ٢٠٠.
- ١١- نقد الشعر لقدامة بن جعفر الكاتب، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤٠٠/٥١٩٨٠م، ص ١٤١.
- ١٢- النحاس، هو أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس النحاس المصري النحوي أخذ عن الاخفش الصغير ومن تصانيفه، تفسير القرآن الكريم، وعراب القرآن الكريم والناسخ والمنسوخ، صناعة الكتاب وغيرهما، توفي بذي الحجة السنة ثمان وثلاثون وثلاث مائة هجرية، انظر: شذرات الذهب، ٢٠٢/٤.
- ١٣- صناعة الكتاب لأبي جعفر النحاس، تحقيق: بدر احمد ضيف، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٠/٥١٩٩٠م، ص ٢١٤.
- ١٤- هو أبو هلال حسن بن عبد الله العسكري، له كتاب التلخيص، وكتاب صناعات النظم والشعر، توفي سنة وخمس وتسعون وثلاث مائة هجرية، انظر: معجم الادباء، لياقوت الحموي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٥٨/٨.

- ١٥- أبي هلال العسكري، كتاب الصناعتين الشعر والنثر، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨١م، ص ٣٧١.
- ١٦- الباقلاني، اعجاز القرآن، ص ١٤٠.
- ١٧- هو أبو الحسن بن رشيق القيرواني أحد البلغاء ولد سنة تسعين وثلاثمائة من تصانيفه: العمدة في صناعة الشعر ونقده وعبوبه، وكتاب النموذج، وكتاب قراضة الذهب، وغيرها توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة، وفيات الاعيان، ٨٧/٢.
- ١٨- ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده وعبوبه، تحقيق: محمد محي الدين، دار الجيل، بيروت، ١٥/٢.
- ١٩- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، بدون تاريخ، ص ٢٦٧.
- ٢٠- فخر الدين رازي، نهاية الايجاز في درية الاعجاز، تحقيق: أحمد حجازي، المكتب الثقافي للنشر القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٨٩م، ص ٢٠٠.
- ٢١- ابن الاثير: هو ابو الفتح نصر الله بن محمد الشيباني الجزري، ولد في شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسائة، ومات ببغداد في ربيع الاخرة سنة سبع وثلاثون وستمائة هجرية، شذرات الذهب، ٣٢٨/٧.
- ٢٢- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ٢٦٤/٢.
- ٢٣- المصدر السابق، ٢٦٤/٢.
- ٢٤- أبو الحسن حازم بن محمد بن حسين بن حازم النحوي القرطاجني، من آثاره كتاب منهاج البلغاء وسراج الادباء، توفي سنة أربع وثمانون وستمائة، شذرات الذهب، ٦٧٦/٧.
- ٢٥- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الادباء، محمد الحبيب الخوجه، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٤م، ص ٥٢.
- ٢٦- الايضاح: ١٦/٦.
- ٢٧- انظر من شروح التلخيص مواهب الفتاح، ٢٩٨/٤.
- ٢٨- لسان العرب، ٢٠٩/١، ماده (طبق).
- ٢٩- المثل السائر، ٢٦٤/٢، وانظر: عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء اساليب القرآن، دار المعارف، الطبعة الاولى، ١٩٧٩م، ص ٢٢.
- ٣٠- كالفرويني والسبكي- انظر: من شروح التلخيص عروس الأفراح للسبكي، نشر أدب الحوزة، لاهور، ٢٩٧/٤.
- ٣١- العموم والخصوص من وجه: هو أن يصدق على كل واحد من الشئتين ما يصدق على الآخر، وينفرد كل منهما في شئ آخر- مثل (حيوان أبيض) فقد يكون هناك أبيض وليس حيوانا وقد يكون هناك حيوان وليس أبيض (والطباق والمقابلة في كل منهما يوجد عنصر التضاد ويفترقان في كون التضاد في المقابلة يجب أن يتجاوز الأثنين فصاعدا، أما الطباق فلا يشترط ذلك فيه) انظر: مصطفى شاهين، المبين في المنطق القديم، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٩٣م، ص ٨٥.
- ٣٢- العلامة عبد الحكيم: هو عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السبكي، له تأليف منها: حاشية على تفسير البيضاوي، وزبدة الأفكار، حاشية على المطول توفي بسبكي في الثاني عشر ربيع الاول عام سبع وستين وألف هجرية. انظر، كشف الظنون، ٢/

١١٤٨-

٣٣- انظر: حاشية الدسوقي على شرح السعد التفاضاني، ٤/٢٩٧-٢٩٦.

٣٤- انظر: المثل السائر، ٢/٢٦٥-٢٦٤.

٣٥- الحموي: هو تقى الدين أبوبكر بن علي بن عبدالله الحموي المشهور بابن حجة، ولد سنة ثمان وستون وسبعمائة، ولد مصنفات عديدة منها، أمانى الخائفين، وقهوة الانشاء، وديوان ابن حجة وغيرها، توفي سنة سبع وثلاثة وثمانمائة، انظر: كشف الظنون، ١/١٦٦.

٣٦- المثل السائر، ٢/٢٦٤-٢٦٥.

٣٧- سورة مريم: الآية: ١١-

٣٨- سورة الانفطار: الآيات: ١٤، ١٣-

٣٩- البخترى: هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائى أبو عبادة البخترى شاعر كبير، يقال شعره السلاسل الذهب وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبخترى، ولد بمنبح بين حلب والفرات ورحل الى العراق واتصل بجماعة من الخلفاء منهم المتوكل له كتاب الحماسة على مثال حماسة أبي تمام - انظر: تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٣م، ٢/٥١-٤٨.

٤٠- أخرجه ابن ماجه فى سننه، باب من كان مفتاحا للخير، ١/٨٦، حديث رقم: ٢٣٧ عن أنس بن مالك بلفظه.

٤١- سورة المعارج: الآية: ٢١-١٩

٤٢- انظر: تفسير الكشاف للزمخشري، دار الكتب العربى، بيروت، ٤/٦١٢.

٤٣- أبى الحسين اسحاق، البرهان فى وجوه البيان، تحقيق: خفى محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، ص ١٤٠.

٤٤- انظر: الايضاح، ٦/١٩-

٤٥- سورة الرحمن: الآية: ٦-٥

٤٦- كالدسوقي فى حاشية على سعد التفاضاني، ٤/٢٩٧، والجرجاني فى الأشارات والشبهات، ص ٢٦٦ وغيرهم

٤٧- انظر: مختصر العلامة سعد الدين التفاضاني على تلخيص المفتاح، ٤/٢٩٨، انظر: الايضاح، ٦/١٧

٤٨- سورة الروم: الآية: ١٩-

٤٩- سورة الحديد: الآية: ١٣-

٥٠- سورة البيل: الآية: ١٠-٥

٥١- انظر: مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح، ٤/٢٩٩-٢٩٨.

٥٢- سورة يونس: الآية: ٢٧-٢٦-

٥٣- سورة هود: الآية: ٢٤-

٥٤- سورة الاعراف: الآية: ١٥٧-١٥٦-

٥٥- سورة آل عمران: الآية: ١٠٤-

- ٥٦- سورة البقرة: الآية: ٢١٦-.
- ٥٧- سيد قطب، ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٠٨/٥/١٩٨٨ م، ٢٥٥/١-.
- ٥٨- ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، ٢١٦/١-.
- ٥٩- تفسير ظلال القرآن، ٢٢٤/١-٢٢٣-.
- ٦٠- سورة التوبة: الآية: ١١٠، ١٠٧-.
- ٦١- سورة النحل: الآية: ٩٠-.
- ٦٢- انظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠/٥/٢٠٠٠ م، ٢٧٨-٢٧٧-.
- ٦٣- سورة الاعراف: الآية: ٥٨-.
- ٦٤- سورة البقرة: الآية: ١٨٥-.
- ٦٥- النكت في اعجاز القرآن لابي الحسن بن علي بن عيسى الرمانى، ٩٩، من كتاب ثلاث رسائل في اعجاز القرآن للرمانى الخطابى وعبدالقاهر الجرجاني، دار المعارف، مصر-.
- ٦٦- سورة طه، الآية: ١٠٣-.
- ٦٧- سورة الطور: الآية: ٣-١-.
- ٦٨- سورة ق: الآية: ٢-١-.
- ٦٩- سورة الفاتحه: الآيات: ٤-٣-.
- ٧٠- سورة الاعراف: الآية: ٩٨-٩٧-.
- ٧١- فخر الدين رازى، التفسير الكبير، (المقدمة) دار احياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الثالثة، ١/ل-.
- ٧٢- أبوزهره، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربى، بيروت، ص ٣٥٤-.
- ٧٣- سورة لقمان: الآية: ٣٠-.
- ٧٤- سورة القصص: الآيات: ٧٢-٧١-.
- ٧٥- لسان العرب، ٢١٢/٣، مادة (سرمد)-.
- ٧٦- سورة آل عمران، الآية: ١٢٧-.
- ٧٧- سورة الحج، الآية: ٦١-.
- ٧٨- سورة سبا، الآية: ٢-.
- ٧٩- تفسير ظلال القرآن، ٢٨٩٢/٥-.
- ٨٠- سورة الرعد، الآية: ١٠-٩-.
- ٨١- تفسير ظلال القرآن، ٢٨٩٢/٥-.
- ٨٢- سورة نساء، الآية: ١٠٨-.

- ٨٣- سورة البقرة، الآية: ٢٥٦-
 ٨٤- سورة يونس: الآية: ٣٢-
 ٨٥- سورة يونس، الآية: ١٢-
 ٨٦- التفسير الكبير، ١٧/١٧، ٥٣-٥٢-
 ٨٧- سورة الزمر، الآية: ٨-
 ٨٨- سورة فصلت، الآية: ٥١-
 ٨٩- سورة الاسراء، الآية: ٦٧-
 ٩٠- تفسير ظلال القرآن، ٤٠/٤، ٢٢٤٠-
 ٩١- التفسير الكبير، ٢١/٢١-
 ٩٢- سورة هود: الآيات: ١٠-٩-
 ٩٣- انظر: الظلال، ٤٠/٤، ١٨٦٠-
 ٩٤- سورة الاسراء، الآية: ٨٣-
 ٩٥- سورة الشورى، الآية: ٤٨-
 ٩٦- سورة العلق: ٧-٦-
 ٩٧- المستخلص في تركة الأنفلسعيد حوى، دار السلام، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨/٥١، ٩٨٨م، ص ٣٠٩-
 ٩٨- سورة النساء، الآية: ١٤٣-
 ٩٩- سورة المعارج: الآيات: ٢١-١٩-
 ١٠٠- انظر: تفسير ظلال القرآن، ٦/٢٦٩٨-
 ١٠١- انظر: تفسير التحرير والتنوير، ٢٩/١٦٧-
 ١٠٢- ايضاً، ٢٩/١٦٧-
 ١٠٣- المفردات في غريب القرآن، ٩٢-
 ١٠٤- تفسير ظلال القرآن، ٦/٣٦٩٩-٣٦٩٨-
 ١٠٥- سورة الفجر، ١٦-١٥-
 ١٠٦- انظر: عائشة عبدالرحمن (ثب الشاطي)، التفسير البياني في القرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٢، ١٥٢/٢-
 ١٠٧- سورة الانبياء، الآية: ٣٥-
 ١٠٨- روح المعاني، ٣٠/١٢٦-